العرب
الأربعاء 2021/08/11
السنة 44 العدد 12145

قطع من السماوات المتداخلة تسرد قصصا مفتوحة

بتينا خوري بدر تسبر أغوار لبنان الجريح عبر أوراق «التاروت»

شـاركت الفنانة التشـكيلية اللبنانية بتينا خوري بدر بالعديد من الأعمال الجديدة في المعرض الجماعي الذي قدّمته صالة "تانيت" البيروتية مؤخرا. هـذه الأعمال لفتت إليها الأنظـار عبر المنطق الذي يقـف وراء القصص البصرية المتباينة عبر انطباعات الفنانة وأحاسيسها وأفكارها، أو تلك التي شـاركها الناظر إلى أعمالها فيها أو خالفهـا، أو انطلق منها نحو عوالم جديدة تخصّه وحده.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

إلـى جانـب الأعمـال الفنيـة التي عرضتهـا الفنانة التشـكيلية اللبنانية بتينـا خـوري بـدر مؤخرا فـي صالة "تانيـت" البيروتيـة، والتـي جسّـدت مـا يمكـن تسـميته بمناخات السـماء البيروتية بـكل ما تحملـه من غموض وإفصـاح ونصاعـة وتلـوّث، نشـرت الفنانة صورا عـن أعمالها الفنية التي تنتمي إلى مجموعتها الجديدة الواسعة على صفحتها الفيسبوكية.

أعمـال أرفقتهـا بتعليقـات كتابية تأخذ المُشـاهد إلـى الباب المـؤدّي إلى عوالـم تلـك اللوحـات التـي لا ينتظم معناهـا إلاّ عندما تضعهـا الفنانة إلى جانـب بعضها البعض في تفاعل ضمن مجموعة من اللوحات.

بين انحدار وصعود

لعل أفصح هذه المجموعات تلك التي لم تتعـدّ أربعة أجزاء، أو أربع قطع هي لوحات بدت في أحيان كثيرة إما تظهيرا للتلاشـي العام وقد تشـبّع بزرقة رطبة وباردة أو لوحات جسّـدت نصا يسـرد تسلسـل الأفكار (انحـدارا أو صعودا) من خلال مجموعة مشاهد بحتة للسماء التي غشـاها تارة الضباب وتارة أخرى أشـكال مـن غيـوم تضفي أجـواء من الترقب والحزن والخفة والأمل.

> الأشياء لم تكن يوما مجرد أشياء أو جماد بالنسبة إلى الفنانة اللبنانية، بل تصطبغ بالحياة وتنبض بأهواء البشر ومخاوفهم

أجواء متناقضـة وأحيانا متواطئة تخبـر الناظـر إلى اللوحـات عن درجة "الوعكة الصحيـة" التي أصابت النفس ومـزاج الأفراد المجتمعين تحت سـماء واحدة وفي بلد واحد يتخبّط بين غيومه وبحـره ودمائه وتعكّـره دون أن ينهار حقا، ليعلن أن زمن لا جدوى السـرد قد حلّ فعلا.

علّقـت الفنانة علـى أحـد أعمالها الذي جسّـد زورقا "تالفا" مصنوعا من زرقـة العملـة اللبنانيـة المتهاوية على صفحتهـا الفيسـبوكية بهـذه العبارة "لبنان المتهـاوي"، وعلّقت على عمل آخر قائلة "عندما كنت منهمكة برسـم سيرة السـماء، إذ بالانفجـار يلـوّث محطات السيرة ويعكّر أزرقها".

أما هذه السـيرة أو هذه الرغبة في السـرد العفوي الذي يلتقط أدنى تحوّل يطـرأ في النفـس لينعكس فـي هيئات السماء المختلفة والذي نادرا ما ابتعدت عنه الفنانة اللبنانيـة في أعمالها جعل منهـا، أي مـن بتينا خوري بـدر، لاعبة "التاروت" الذي صنعت أوراقه بنفسـها ولونته ورسمت فيه أشكالا تأرجحت بين التشـكيل والتجريد كي تتعقّب تحوّلات ألـوان السـماء وأجوائهـا وهيئاتهـا المُتحوّلة مع هبوب الريح وتشكّل الغيوم وانسحابها إلى الأفق تارة وإلى صدارة اللوحة تارة أخرى في محاولات لسـبر أغـوار مسـتقبل قريب وبعيـد في الآن ذاته.

أمـا لعبـة "التـاروت"، وباختصار شـديد، فهي عبارة عـن مجموعة أوراق تشـبه أوراق اللعب العادية، لكنها فنيّة أكثر وتُوظّف بشـكل رئيسـي لأغراض العرافة أو ما يسمى بـ"التبصير".

المميّـز فـي هـذه اللعبـة كمـا في مجموعـة لوحـات بـدر أن قدرتها على السـرد تبلغ أقصاهـا عندما تقيم علاقة بينهـا وبـين أوراق أخـرى تجاورها. وهكـذا تسـرد الفنانـة لوحاتهـا بلغة مُلتبسـة حينا وشديدة الشـعرية حينا آخـر عبـر وضـع مجموعـة لوحـات متجـاورة تتنقل فيهـا العين من واحدة إلى أخرى حتى "يحدث" المعنى.

وهنا، وكمـا في أعمالها السـابقة، يلعب الناظر إلى الأعمال دورا أساسـيا فـي اسـتيعاب اللوحـة عبر المشـاركة فـي ابتكار معناهـا. ومن نافلـة القول إن كل شـخص يقف أمـام مجموعة من مجموعات الفنانة هو كائن اسـتثنائي له تجاربـه المتنوّعة وخلفيتـه الثقافية والاجتماعية والنفسـية المختلفة، لذلك سـيتعدّد التأويل وتختلـف القراءة من شخص إلى آخر.

وتجـب الإشـارة هنا إلـى أنه على الرغم من أن وقْع أعمال الفنانة التي تقع تحت ثيمـة السـماء البيروتية يختلف باختلاف الشـخص الناظر إليها، إلاّ أن معظم هذه الأعمال تشترك في خاصيتين، إحداهمـا هي الميل إلـى التجريد المبني علـى الاختـزال والتقشّـف فـي اللون والخط، والثانية هي الشعرية/ الغنائية الصادحـة بصمـت "يسـتقبله" اللون الأبيض واللون العاجي، واللون الأزرق الفـاتح والرمـادي الزائغ إلى الأسـود المتحلّـل فـي أعمالها، كما قد يسـتقبل الناسـك أو المتصوّف فـي عزلته بريدا أثيريـا من عالم آخر بكل ترقب وترحيب وسكينة.

تأويلات متعدّدة

حـازت التشـكيلية اللبنانيـة بتينا خوري بدر من الجامعة اللبنانية سـنة 2001 دبلوما، ومن ثم ماجسـتيرا سنة 2002 فـي الفنون الجميلـة، لتدخل بعد ذلك معترك التعليم والاشـتراك في عدة ورش عمل ساهمت في تطوير ممارستها الفنيـة. كما شـاركت في عـدة معارض جماعيـة منـذ العـام 2000، كان آخرها معرضا جماعيا اشتركت فيه سنة 2016 في "صالون الخريف" بمتحف سرسـق اللبناني.

وللفنانة العديد من المعارض الفردية في بيـروت، وقد أطلقت علـى أحد هذه المعـارض عنوان "طبيعـة صامتة"، مع العلـم أن كل مـا قدّمته بدر إلـى اليوم يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان.

وهـو ما بـدا جليـا فـي معرضها السـابق الذي "اكتسـحه" التجريد في محاولـة واضحة لتشـكيل لغة بصرية خاصـة بها تخـرج فيها عنـه -أي عن التجريـد- دون مفارقته كليـا، وهو ما تحقّق في أعمالها الأخيرة.

فـ"الأشـياء" لـم تكـن يومـا مجرد أشـياء أو جمـاد بالنسـبة إليهـا، بل تصطبـغ بالحيـاة وتنبـض بأهـواء البشـر ومخاوفهم. لا تحـدّد قيمتها ولا جماليتها ولا صلاحيتها للاستخدام، بل تحـدد مدى قدرتها علـى أن تمثل منافذ إلى الـذات وإلى الآخر، ومـدى قدرتها على أن تكون انعكاسـا لأثر الزمن على الوعي البشري إما إمحاءً أو تأكيدا.

كمـا لـم يكـن الواقـع البحـت في لوحـات الفنانة واقعـا مكتملا من دون أن "يدحرجـه" الخيالـيّ والمسـتحيل مـن عليائه. فكيـف لا يكـون الواقع إلاّ مصنوعـا مـن خامـة الخيال؟ فـكل ما يحيط بنا يخبرنا بما قاله يوما شكسبير "نحن مصنوعون مـن المادة التي تُصنع بهـا الأحلام.. وحياتنا القصيرة محاطة بالنوم".

يسـهل علينـا من هـذا المنظـور أن نتخيّـل هذا العالـم/ الواقع "المشـكوك بأمـره"، والمتمثل في عوالم بتينا خوري بدر، مُشـبّع بألـوان "النـوم" -إنْ صحّ التعبير- التي تسـتخدمها الفنانة بكثرة في الأبيض والرمادي والأزرق والأسود.

أحاديث وقصص تنصهر بين عالمين خارجي وداخلي

غموض وإفصاح.. نصاعة وتلوّث

تجريد مبني على الاختزال والتقشّف في اللون والخط

المغربية سميرة دباح تشكّل من الوشوم الأمازيغية لوحات معاصرة

الربـاط - ولجـت الفنانـة والنحاتة المغربيـة سـميرة دبـاح، عالـم النحت والتشـكيل بقوّة، منـذ طفولتها وبرزت موهبتها في الرسم بعد متابعة وتشجيع من والدتها، حيـث تنقر على أوتار الفن بألوان طيفية تشـكيلية صارخة أشـبه بالجمرات، وتسكب أنفاسها في لوحات فنية نحتية تشـكيلية فـي غاية الروعة، وتلد تأوهاتها إبداعا، وتسـجل نبراتها ونبضاتهـا فعل مشـهد نحتي سـاحر، وترتّل بعضا ممّا تنحت وترسم وتشكل، وتغني إبداعاتها الفنية في عالم متناغم.

وتعتبر دباح، الرسـم باليد هوايتها التي تمارسها بشغف وحب، لأن طموحها كبير في عالم التشـكيل وهذا ما تسـعى إليه لتحقيق هدفها في المسـاهمة بنشر الجمال في بلدهـا من خلال فن "تصميم السطح".

وعنـه تقول "أنـا فنانـة ومصمّمة الأسـطح أو بمـا يعـرف بالإنجليزيـة بـ'مصمم الأسطح'، والذي يمكن تفسيره أنـه أي عمل فني من تصميـم فنان يتم تطبيقه على سـطح ما لتحسين مظهره المرئي".

والفنانـة المغربيـة تعمـل بنوع من التجلي والتواصـل مع مكونات اللوحة أو المنتـج، حيـث تبـيّن معالم الرسـم قبـل كشـفه، وتحكـم ضوابـط الألوان قبل إحـكام توزيعها، كمـا أن اللون في أعمالهـا يظل مسـتحوذا علـى الذائقة البصريـة، ويعطـي المُشـاهد لأعمالها إحساسا دائما لما تمثله عناصر اللوحة ورموزهـا الإبداعية، فهـي فنانة تحتكر الإضافـة والتجديد في الفـن المعاصر، فمـن خلال أعمالها تضيء مسـاحة من التشـكيل والنحـت المغربـي الحديث، بعمق الحياة وتاريخها العميق.

وتظهـر في لوحـات دبـاح عناصر الوشـم الأمازيغي، فكما ترسم الواشمة الوشـوم على أجسـاد نسـاء القرية أو القبيلـة أو العائلـة فـي بلدان شـمال أفريقيا، تضع الفنانة المغربية وشومها على سـطح القماشـة لتبـدو غائرة في عجينة ألوانها المتوسطية، وكأنها توثّق من خلالها لحياة مضت تود استردادها عبر لوحاتهـا الجدارية التي باتت زينة البيت في ظل اختفاء أو تلاشي الوشوم شيئا فشيئا من وجوه بنات هذا العصر.

وتاريخيـا، قامت المـرأة الأمازيغية (البربريـة) بوشـم وجههـا وأقدامهـا وذراعيهـا وأجزاء الجسـم الأخرى من أجـل الجمال والصحـة والحماية، ومع تغيّـر الديناميكيـات والتقاليد الثقافية المغربيـة مـع تطـوّر إيقـاع الحيـاة وتأثيرات العولمة، بدأ هذا التقليد القديم يختفي بسرعة.

إلا أن دباح تُعيد تشـكيلها من جديد وبشـكل معاصر علـى آثارها الفنية، ممّا يجعل رموز الوشـم القديمة بمربعاتها السـحرية وأشـكالها الهندسـية المخصوصـة مثل مثلثـات، حلزون، صلبان، ثمانية نجوم مدببة، دوائر، ماس، تتّخذ أبعادا حداثية يمكن من خلالها تزويق الفضـاءات الداخلية ويكسبها بعدا جماليا يمزج التراث بالمعاصرة.

وهذا الطابع البدائي في الرسم ينعكس تلقائيا أيضا في منحوتات الفنانة المغربية التي تجعل من الطين مادتها الأولى والأخيرة، دون تزيين أو إضافات لونية، لتأتي في شكلها الخام الأولي استمرارا لقناعات دباح المحتفية بالجمال في بساطته.

ففي إحدى مجسماتها الطينية، تغدو المنحوتة منفردة في جلستها القانعة بالانتظار، ربما هو انتظار التحاق الوجوه الموزّعة وراءها والمعلّقة على الجدران بها، كي يتشاركا وحدتهما ويتسامرا معا حتى بالنظر إلى بعضهما البعض دون الحاجة إلى كلام، فللطين صلواته وصوته الشعريّ الأثير.

فكما أن الشعر فن زماني والنحت فن مكاني، تشكّل دباح في تلاقيهما حضور الزمـان في المـكان، فيتحرّر الشـعر من زمانه ليصبح مكانيا ويتحرّر النحت من مكانـه ليغدو زمانيا، ومن ثمة يمتزجان وينصهـران في فن واحد أسّسـت له الفنانة المغربيـة دون أن تدري، أو ربمـا وهي تـدري أن فـي الصمت كلامـا وفـي الـكلام صمتـا، وما بينهما من طـين حياة جديدة مديدة باذخة التفكير والتبصّر.

وتقـول دبـاح "بعـد دراسـتي وعملي فـي إدارة الأعمـال قرّرت أن أحقّق حلمي، الذي كان قريبا من قلبـي، وهو أن أصبح فنانة وأعيـش مـن فنـي، وقـد جاء شـغفي بالفـن منـذ الطفولة، ولهـذا السـبب أخذت دروسـا مختصـة في باريـس، ودورات تدريبية عن بعـد من أكاديميين وأسـاتذة مختصـين فـي عالم الفنون الجميلة".

وتردف "حوّلت شغفي بالفن إلى تصاميم فريدة وخالدة، حيث أن عملي هو تفسير لكل ما أنا عليه، وأكثر ما أتواصل معه في الحياة، وخاصة الجانب العاطفي"، موضحة أنها لا تقتصر على أسلوب أو مفهوم واحد فقط، بل تحب اللعب بالأشكال والظلال لإنشاء مزيج فريد، سـواء للأفضل أو للأسـوأ، فقـد كانت مسـيرتها المهنية تدور حول متابعـة مـا يثيـر اهتمامهـا، فالفنانة دبـاح، لم يكن لديهـا الكثير من الخطط أو الاسـتراتيجيات بخلاف إتباع قلبها والقيـام بما يبـدو جيدا بالنسـبة لها وتعديل مسار عملها.

سميرة دباح

> حوّلت شغفي بالرسم إلى تصاميم فريدة وخالدة، حيث أن أعمالي هي تفسير لكل ما أنا عليه في الحياة والفن

وتعمـل دبـاح حاليـا علـى إنشـاء لوحـات ومنحوتـات تبيعهـا علـى صفحتها الخاصة على إنستغرام، وهي لوحـات تشـمل العديد مـن التنويعات الفنيـة على غـرار اللوحـات الجدارية والورق الجداري والبلاط والسجاد.

جمع بين الجمالي والنفعي